



الحلقة ٢١

بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا .
الحكي هذه المرة ، له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم تكن ترى منهم سوى صفحة التجهيم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة راققة وتسعهم النكتة عندما ترحمهم الأسئلة.

ملك التل

حديث السياسي، بعيداً ههنا عن السياسة، بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة يجفاف الذاكرة .
ذوات سبق وتحديثا، بعيداً عن السياسة ، وكانوا متعنين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرة. حديثهم أضحي أكثر إثارة

هل يمكن العثور على سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكم بلسانه بحيث يكتب بالحديث، بعيداً عن السياسة، وفي هذا الوقت بالذات؟ تقصد في فصل الربيع العربي ، الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تعوم في فضاء الشك ونكبات الريبة ومحضرات رفع الصوت.
في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة، كان الحديث، بعيداً عن السياسة، مغرباً ومتمعاً للسياسيين المحترفين، فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودون الخوض فيه. الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء ..
بالخضراء ..

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية.. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (٨-١٢)

عن قرار فك الارتباط فان لديه ما يقوله من تفاصيل قد لا يعرفها الكثيرون.
أبو نشأت الذي أنهى دراسته في جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته الوظيفية في البنك المركزي أيام تأسيسه (براتب ٥٠ ديناراً شهرياً). مروحة النيابة إلى الوزارة إلى رئاسة الحكومة إلى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الأعيان. هذا عدا التمثيل الدبلوماسي للاردن والمهام القومية المدنية. وفيها كلها ظل متمسكاً بمنظمة المبادئ الشخصية التي يقول في مدونته الشخصية على الانترنت أنها ألقت بظلالها على مسيرته السياسية والاجتماعية. ولعلها هي ذاتها الاطباع الشائع عنه بأنه رجل لا يضيع بوصلته..

بعضاً مما أوردته موسوعة ويكيبيديا عن الرجل. فهي تنقل كلمة المغفور له بإذن الله الملك الحسين عندما قال له: «ما تعاملت مع إنسان أشرف منك يا طاهر». وفي سياق آخر يوصف أبو نشأت بأنه ضمير الحياة السياسية الأردنية، كونه يؤمن بمدينة الدولة إيماناً أهله لأن يتولى على المستوى القومي مسؤولية قطاع المجتمع المدني في الجامعة العربية أيام تعاطم الإحساس بضرورة الإسراع في الإصلاح. فقد نشأ الرجل على الإيمان القومي حد التصوف. وهو يعتبر وحدة الضفتين تحدياً قومياً وطنياً لاتفاقية سايكس بيكو. وفي تسديده لمفهوم وسلوكيات الوحدة الوطنية كان الأبعد عن جدل المحاصصة والحقوق المنقوصة. وحين يتحدث في هذه الحلقات

الأردني الهاشمي، موروثاً عائلي سابقاً لوحدة الضفتين عام ١٩٥١. وقد عززه الرجل بالممارسة الشخصية الشاققة. في عام ١٩٩١ أثار أن تستقبل حكومته على أن يحل مجلس النواب، فسُجِّل له ضمن سفر الحياة الديمقراطية. كان له حضوره في لجنة الميثاق الوطني، ومن فوقها بنى جهوداً أثيرة في رئاسة اللجنة الوطنية الأخيرة للحوار السياسي. وحين يسأل الرجل عن تجربته مع الإخوان المسلمين في حكومة ٩١، وفي لجنة الحوار فإنه يستذكر تفاصيل تستحق التسجيل في قاموس الحياة المدنية والحراك الديمقراطي، حيث الاختلاف السياسي لا يؤثر على الإحترام الشخصي المتبادل.
حتى لا ننقل على تواضع الرجل بأوصاف وأقاب إيجابية يعرفها الجميع، فإننا نقتطف

الوحيد الذي ، نجا ، من هاتين الصفتين. فالرجل لشدة تواضعه وعزوفه الفطري الصادق عن سماع التفریط الفائق، لن يرضيه أن يقال عنه أنه من رجال الدولة ذوي السوية الضريفة الذين لم تحرقهم السلطة ولم يندرجوا في الاصطفاات الخلافية ولم تتلوث أيديهم بالمواقف السياسية أو المالية. ولأنه كذلك فإن التحرش بذاكرته السياسية للسنوات العشرين الماضية مسألة صعبة متعة. في المملكة المغربية يطلقون على رجالات الدولة المرصودين للمهام الكبيرة، تعبير رجال «الخران»، باعتبارهم يفترض أن يكونوا ثقة عدولاً أقوياء وذوي أفق مبدع لتولي القضايا المفصلة أو الصعبة. أبو نشأت (ونشأت أيضاً اسم والده) له في «الخران

الذين حاولوا توصيف الحياة السياسية الأردنية، تفاوتت تقديراتهم بشدة على أمور كثيرة، لكنها اتفقت على نقطتين: الأولى أن هذه الحياة السياسية محرقة لرجالاتها، وبالذات في السنوات العشرين الماضية. فلم يقادر رئيس وزراء إلا وكان التصور أنه لن يعود بعدها لكثرة ما كانت تلحقه في أيامه الأخيرة من حملات تغيير. والصفة الثانية للحياة السياسية الأردنية أنها بدون ذاكرة مدونة. لا تفسير واضحاً لهذه الظاهرة سوى احتمال أن يكون رؤساء الحكومات السابقون لا يريدون تدوين مذكراتهم لكثرة ما التبس فيها من أمور يصعب تدوينها بموضوعية.
طاهر المصري، رئيس مجلس الأعيان والرئيس الأسبق للوزراء، لا نريد أن نقول أنه

المصادفة أدخلتني النيابة عن مقعد نابلس الشاعر وبعد ٣ أسابيع اختارني زيد الرفاعي ضمن تشكيلة حكومته

■ الدبلوماسية خدعة ؟
.. لا الدبلوماسية من الممكن كالسياسة، وكونها تتعامل مع دول فان الأمر ليس منوطاً بطرف واحد بل بأطراف أخرى متعددة. فنحن عندما ننظر إلى الأردن وحوله دول كثيرة فإنه يجب أن نتعامل معها وأن نسير أمورنا بوسائل متعددة بناء على سياسة واستراتيجية واضحة. المرونة والدبلوماسية ليستا خدعة وانما حسن إدارة.

■ استراحة
كثيراً ما تتراوسن جاهات تطلب عروس.. لا بد أن ذلك أثرى قاموسكم الاجتماعي بالأنساب وبالأقوال المأثورة التي تصاحبها أحياناً مفاجآت ورؤى عميقة في المزاج الاجتماعي. لكن الا تشعرين ان مثل هذا العرف الاجتماعي يقلل على رجال الدولة؟! وموضوع ان يكون أمام الطالب في الجاهة من يمثله في المركز السياسي أو الاجتماعي ألا يعتبر هو الآخر شكليات اجتماعية فائضة عن الحاجة ؟

بالنسبة لي شخصياً ليست المشكلة بمن يجب أن يمثلي في الجاهات التي ادعى لها.. ليس لدي هذا الاعتبار. ولا شك ان لمثل هذه المناسبات الاجتماعية فوائدها ولها سلبيات، وقد أصبحت مظهراً اجتماعياً خادعاً، فكلمة كبرت الجاهة كلما اعتقد أصحابها بأن قدرهم كبير. أرى انها مضيق لوقت الناس وجهدهم. قد يقول البعض بما أنني أتحدث هكذا عن الجاهات فماداماً أترأسها ؟ وأقول :لأننا ضمن مجتمع له أعرافه واعتباراته. لأنني سياسي في بعض الأحيان وأرغب أحياناً أخرى وكثيراً ما أعتبر أن أكون على رأس هذه الجاهات. وللحقيقة فان هناك جاهات خرجت عن نطاقها المعهود .. نحن لا ننكر انها جزء من تطور العادات الاجتماعية التي لم تكن موجودة أصلاً لكنها أصبحت الآن مظهراً اجتماعياً غير مريح وأمرأ شكلياً إلى درجة كبيرة جدا.

■ في الحلقة القادمة: طاهر المصري « استقلت من حكومة الرفاعي وهذه تفاصيل قرار فك الارتباط.

بعد خروج وزراء الضفة من الحكومة نتيجة فصل الضفتين قررت السفر للعمل في السعودية لكن سالم مساعدة أقتعني بالانتقال للخارجية فذهبت سفيراً في مدريد

تعلمت اللغة الإسبانية بسهولة وان كنت قد نسيتها الآن، والفرنسية بشكل ضعيف جداً لكنني بالإنجليزية ممتاز. بقيت أربع سنوات في إسبانيا، وخمسة في فرنسا وأربعة أشهر في بريطانيا. تعلمت خلالها في جميعها أشياء كثيرة متنوعة، أهمها الاختلاط بحضارات وثقافات لم تكن متاحة لي. كما تعلمت دقة الكلام والتوازن حسب المفهوم الدبلوماسي، فالأحداث السياسية التي مرت في إسبانيا بالذات في بداية حياتي الدبلوماسية علمتني أكثر مما كنت أتوقع. كنت أرى كيف كانت البضعة الحديدية المحافظة والأمنية موجودة في إسبانيا، ثم جاء خوان كارلوس بعد وفاة فرانكو وتمت عملية الانتقال من حكم فرانكو الدكتاتوري إلى الحكم الديمقراطي بكل سلاسة ودكاء. كانت تجربة مهمة وغنية وقد كتبت تفاصيل هذه الحقبة. فرنسا بالنسبة لي كانت موطن الفن والثقافة والذوق والأكل الطيب، فهي مركز سياسي مهم، وأيضاً استطعت الدخول إلى مواقع سياسية مهمة ومؤثرة في الأثناء وتعلمت الكثير، وأصبح جلالة الملك يعرفني أكثر وأكثر من خلال عملي ونشاطي ونجاحي في باريس، وبالتالي عندما أصبح موقع لندن شاعراً كسفير اختارني جلالتة لاشغاله. لم أبق في بریطانيا أكثر من أربعة أشهر. لا بد من القول ان حنظل الدبلوماسية علمتني كثيراً.. ثققت نفسي وأنشأت علاقات واسعة وصلات قوية وأصبح لدي موقف وتجربة وافكار راسخة تعامل معها.

■ بداية دبلوماسية ؟
نعم ..بدأت مشوارتي الدبلوماسية في مدريد. وأزعم بأنني تنوعت في تجاربي، واحداها المهمة الدبلوماسية، حيث عملت سفيراً في إسبانيا وفرنسا لدى اليونسكو، وفي بریطانيا.

■ تتحدث الإسبانية والفرنسية إضافة إلى الإنجليزية؟



.. مع شقيقاته واشقائه

للإعلام ومضربان مستشارا لشؤون الأمن القومي وأخبرتهم برغبتي بترشح نفسي فشحوني وانتخبت في الثاني من أيار ١٩٧٣ نائباً عن لواء نابلس.

■ وانطلقت؟
نعم. بدأت مرحلة جديدة من حياتي وأخذت أشعر من تلك اللحظات أنها مرحلة تختلف تماماً عن الحياة «البنكية» علماً أن الصورة لم تكن واضحة أمامي عما ستكون مهمتي واماكناتي نجاحي كنانب. لكنني أضرت على العمل بجهد كبير في المرحلة الجديدة في حياتي. وبعد ثلاثة أسابيع من انتخابي تم اختياري وزيراً وكان هذا القرار هو الأضعب بالنسبة لي.

■ فوجئت؟
بعد النيابة بـ ٢٤ يوماً استقالت حكومة أحمد اللوزي وتم تكليف زيد الرفاعي في ١٩٧٣/٥/٢٦.

استغربت جداً من اختيار دولة «أبي سمير» لي لأكون وزيراً في حكومته. فوجئت جداً ولم يخطر هذا على بالي إطلاقاً. واذكر أنني أخبرته بأنني بالأمس استقلت من البنك المركزي، وأنني غير مهيناً لا من الناحية النفسية ولا من حيث الخبرة. فعمري ٣١ عاماً ولم يسبق أن مارست أموراً تتعلق بالدولة على الإطلاق. وواضح أنه كان على معرفة بذلك، وعندما سألته عن الحقيقة الوزارية شعرت أنني استطيت ان التعامل مع وزارة شؤون الأرض المحتلة . بدأت مسيرتي السياسية وكان هدفي الأول التفكير بكيفية تطوير نفسي لأقوم بمهام المرحلة الجديدة في حياتي. لقد أصبحت في منصب تنفيذي عال جداً، وفي عمر مبكر. وبالنسبة فان أبا سمير نفسه شكل حكومته ولم يكن سبق له أن استلم أي حقيبة وزارة من قبل. وكان عمره ٣٦ عاماً وأصبح رئيساً للحكومة مع وجوه شابة صغيرة نسبياً أثارت انتقادات بأنها حكومة شباب ليس لديهم خبرة، فكان أمامي تحد لا بد من مواجهته. تعبت على نفسي كثيراً، وتعلمت وأثبت وجودي في الوزارة.

■ ماذا فعلت؟
كان الأردن مسؤولاً عن كل موظفي في الضفة الغربية، وهذا يعني ان وزارة الدولة لشؤون الأرض المحتلة كانت مسؤولة عن كل الشؤون الإدارية في الضفة الغربية من موظفين وعن القدس والبلديات وحالات التقاعد وغير ذلك. كانت لدينا الصلاحية بموجب نظام الدفاع أن نقرر في المكتب التنفيذي أو في وزارة الأرض المحتلة ما نريد، وكانت الوزارات تطبق تلك التعليمات، فأبقينا العلاقات مستمرة بما في ذلك التجارة بين الضفتين. ورغم العقبات حاولنا تسهيل عبور المواطنين والدفاع عن مصالحهم. كنا مرجعية نواب الضفة الغربية في أمور كثيرة، فكانت تقريباً شبه حكومة مصغرة للضفة الغربية موجودة في عمان.

■ وبعد؟

بعد سنة وسبعة أشهر، عقد مؤتمر قمة الرباط، وتم الإقرار بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني. كنت حاضراً قمة الرباط وقد أمني جداً محاولة الفصل بين الضفتين، لكن القرار أصبح التزاماً بقرار لقمة

لم تأت الحياة السياسية لرئيس مجلس الأعيان طاهر المصري نتيجة تخليط من طرفه شخصياً في مطلع شبابه ولا من أهله. أولى وظائفه بعد إنهاء الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة «١٩٦٥» كانت في البنك المركزي حيث التأسيس. كان نائباً عن نشأت يومها «٥٠ ديناراً» لم تعد تكفيه بعد أن قضيت على كاهله مسؤوليات الزواج. بدايات انخراطه السياسي جاءت بالمصادفة عندما انتخب وعمره ٣١ سنة لملء المقعد النيابي عن نابلس لما سافر. وبعد ثلاثة أسابيع من انتخابه تم اختياره وزيراً في حكومة زيد الرفاعي «١٩٧٣» الأضعب بالنسبة له. فالمسؤولية العامة غير المخططة لها تكون تحدياً ثقيلاً ونمط حياة مختلف تلاهما أبو نشأت متقللاً بين عديد مجالات العمل السياسي والدبلوماسي الوطني والقومي، في مرحلة متحركة شديدة السخونة ما فتئ المحللون يصنفونها كل يوم بانها «ظروف استثنائية»

■ بداياتك مع العمل السياسي؟

بدأت ممارسة العمل السياسي الفعلي منذ عام ١٩٧٣ عندما انتخبت نائباً عن لواء نابلس . كان مجلس النواب حينها يتألف من ثلاثين عضواً عن الضفة الغربية وثلاثين عن الشرقية. اثر وفاة بعض نواب الضفة الغربية عدل الدستور وقانون الانتخاب حيث أصبح بالامكان انتخاب أشخاص من مناطق المقاعد الشاغرة لملء المقعد الشاغر عن محافظة نابلس.

■ ضمن خطة مسبقة؟

لا.. لم يكن هذا وارداً في ذهني كي اخطئ له. لكن القدر لعب دوراً ايجابياً لأجد بالصدفة بأن هناك مقعداً شاغراً في مجلس النواب عن لواء نابلس، فلمعت بذهني الفكرة. كان عمري حينها ٣١ عاماً. اتصلت بمسؤولين كبار كانوا على علاقة مع عائلتي، منهم أحمد اللوزي وكان رئيساً للحكومة، وكامل عريقات رئيساً لمجلس النواب، وزيد الرفاعي مستشاراً للملك الحسين، وعدنان أبو عودة وزيراً

توليت حقيبة «الأرض المحتلة» وعمري ٣١ سنة . كانت شبه حكومة مصغرة للضفة الغربية في عمان

× × ×

ألمني جداً قرار قمة الرباط ١٩٧٤ بفصل الضفتين